

تكييف التاريخ روائيا في روايتي نورس باشا والرايس لهاجر قويدري

Adapting the history narratively in the novels of Norris Pasha and Elriss of "Hadjer Kouidri"

الطالبة: سميرة علي أغا

somiaagha10@gmail.com

إشراف: أ.د. وحيد بن بو عزيز

قسم اللغة العربية-جامعة الجزائر 2

تاريخ النشر: 2019/06/03

تاريخ القبول: 2019/05/18

تاريخ الارسال: 2019/05/13

الملخص

لقد اقتحمت الروائية "هاجر قويدري" فضاءً سردياً جديداً، إذ عادت بنا في متونها السردية إلى الجزائر العثمانية، إنها حقبة تاريخية نحاول خوض مغامرتها بحثاً عن تكييف التاريخ روائياً في أعمال هاجر قويدري الروائية، من خلال روايتها "نورس باشا" و"الرئيس" إذ نجدها تستلهم مادتها السردية من تاريخ الجزائر الثقافي، تندسج الأحداث التاريخية تخيلاً روائياً يبلور رؤية للحياة الاجتماعية والسياسية لفترة هامة من تاريخ الجزائر الطويل، ولا تتوانى أبداً في فتح نصوصها على العالم القائم وقتها فتتناص مع التاريخ سواء تعلق الأمر بالوقائع أو الشخصيات. إنها رواية تنضخ طرحاً هوياتياً ينداح من بؤرة النقاش حول الانتماء والهوية وكيفية تحديدهما على مستوى التاريخ الفعلي أولاً، وعن طريق التخييل الروائي ثانياً متجلياً في استحضار التاريخ، الذي سنتساءل داخل أطره عن كيفية تجليه في أعمال هاجر قويدري، ثم عن طريقة تعامل الروائية مع المادة التاريخية، فهل استطاعت فنيات التخييل عندها الإفلات من إعادة الكتابة التاريخية؟ أم أنها وقعت في التاريخ المحض؟

الكلمات المفتاحية: تكييف: التاريخ؛ نورس باشا؛ الرئيس؛ هاجر قويدري.

Abstract: The novelist "Hajar Quaidri" seeks to break into a new narrative space, in its narrative tone, which is represented in Ottoman Algeria, In this historical period, we try to make an attempt to adapt the narrative history in her narrative work through her novel "Norris Pasha" and "Al Rayes" because we find her inspired by her narrative material from Algeria's cultural history, The historical events are woven into narrative fiction that crystallizes a vision of social and political life for an important period of Algeria's long history. She never fails to open its texts to the existing world, so that it can relate to history whether it is facts or personalities. It is a novel that gives rise to an existentialistic approach that ignores the focus of the debate on belonging and identity and how to determine them at the level of actual history first, and by imagining the novelist secondly in the evocation of history, which we will wonder within his frameworks on how to reflect it in the work of Hajar Quaidri, And then how the novelist dealt with the historical material, did the imaginative techniques then escape from historical rewriting? Or did it occur in the pure history?.

Keywords: Adapting; the history; Norris Pasha; Elriss; Hadjer Kouidri.

حضور التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة:

انصرفت الكتابة السردية الجزائرية المعاصرة إلى تناول المادة التاريخية بحمولتها الثقافية والحضارية في متونها الإبداعية، ويُعد اهتمام الروائيين الجزائريين بالسرد التاريخي واشتغالهم عليه بوصفه متخيلاً شكلاً من أشكال التجديد، فالرواية الجزائرية الجديدة كما يُصطلح على تسميتها عند النقّاد « ليست مدرسة، تخضع لفلسفة معينة، وهي كذلك ليست نزعة فردية تبرز في الحياة الأدبية ثم تتلاشى، ولكنها كانت طليعة جيل جديد من الروائيين أمثال أحلام مستغانمي وعبد الملك مرتاض والطاهر وطار وواسيني الأعرج وبشير مفتي، جيل ينشد قيماً أخرى ويتطلع إلى إنجازات فنية جديدة تتمتع بصفة الحضور المتميز¹، فكانت تجارب هؤلاء الروائيين علامات مضيئة في التجربة الروائية الجزائرية شكلت منعرجاً جديداً في الكتابة السردية.

إنّ القراءة المتبصرة لهذا المنجز الروائي سيقف عند سردية مغايرة، أبانت عن الملامح والتقنيات السردية التي تميزها عن ما سبقها من طرائق وأساليب الكتابة الروائية التي كانت سائدة مع رواية الثمانينات ومطلع التسعينات، «لقد جرب

الروائيون الجزائريون لهذا عدة طرق فمع بعضهم بدأت رحلة تشخيص الداخل وكشف الغطاء عن الحياة السرية للغرائز والعواطف، وهناك من جذر الجزائري في التاريخ الجزائري بعد محاولة إيهامه أنه متجذر في التاريخ العربي، في حين انكب آخر على الكشف عن السلوكات اليومية للإنسان كما حاول البعض أن يتساءل دور الأسطورة والحكاية الشعبية والخرافية»². لقد شكل استدعاء التاريخ في الرواية الجزائرية الجديدة مساحة سردية واسعة وجدناها تغطي الكثير من المتون السردية، حيث اتكأت الرواية على التاريخ بوصفه موضوعاً روائياً يربط بين الواقع والتمثيل في بناء سردي فني بعيد عن التوثيق والتوصيف، و« حاولت الرواية الجزائرية المعاصرة بحسب مضامينها المتقاربة نوعاً ما أن تقرب الماضي/التاريخ من الواقع الجديد، لربما لأنها رأت أن تاريخنا أصبح بعيداً عنا مسافة أننا لم نستطع الوفاء له، ولم نعد نبالي بالحفاظ على تلك القومية والوطنية»³، فراحت تحفر في الذاكرة التاريخية القريبة والبعيدة لتنسج حول الأحداث التاريخية قصصاً وحكايات تروم إعادة كتابة التاريخ عن طريق التمثيل.

اختلفت المواضيع في النصوص السردية الجزائرية وتباينت في تعاطيها مع المرجعيات التاريخية، غير أن موضوع ثورة التحرير الوطني غلب على هذه النصوص إما حضوراً لتمجيد مآثرها أو مساءلة لأحداثها، في مقابل ذلك نجد أن استحضار التاريخ البعيد أو المنسي - ونقصد به العهد العثماني في الجزائر - كان حضوراً باهتاً لا يكاد يُبين، إلا إذا استثنينا بعض الأعمال* التي أشارت إلى هذه المرحلة من تاريخ الجزائر الثقافي، ومع الأسف فإن هذا التاريخ الذي دام ثلاثة قرون تقريباً لم يحظ بأفلام إبداعية تصوره وتظهر جوانبه المشرقة وتساؤل أحداثه، ونلفي الروائية "هاجر قويدري" في روايتها نورس باشا والريس تقتحم هذا الفضاء السردية الجديد، إذ عادت بنا إلى الجزائر العثمانية، لتلك الفترة الضاربة في عمق التاريخ الجزائري إلى ما يقارب الثلاثة قرون من الزمن مخلفة وراءها ميراثاً ثقافياً لا يزال حاضراً في عادات وتقاليد هذا البلد، موشوماً في المخيلة الشعبية لسكانه.

مجلد القول في الروائيتين (نورس باشا والريس):

صدرت رواية "نورس باشا" عن منشورات ANEP في الجزائر سنة 2011، نالت الرواية جائزة الطيب صالح للرواية العربية من نفس السنة، تجري أحداث الرواية في فترة الحكم العثماني في الجزائر تحديداً في بدايات القرن الثامن عشر، دارت أحداثها بين فضاءين جغرافيين مختلفين، الأول إيالة تيطيري بين مدينة العزيزية قرية بطللة الرواية والداميات بيت زوجها الباشا آغا حمدان، أما الفضاء الثاني هو مدينة الجزائر العاصمة، لتحكي قصة فتاة اسمها الضاوية، فتحت عينها على يتم مقنع فوالدها اختار تركها هي ووالدتها ليهيم في الصحراء قصد التعبد والتقرب إلى الله، تزوجت الضاوية من الباشا آغا حمدان وانتقلت للعيش معه في الداميات، كانت ترى في هذا الزواج فرصة ثمينة لتحقيق أحلامها، غير أنها اكتشفت أنها دخلت سجناً آخر تلتقت فيه كل أنواع العذاب، يموت زوجها حمدان لتعود إلى قريتها وتزوج من جديد، بعدها يموت ولدها الوحيد إبراهيم الذي تركته في البيت الكبير، هنا تتحول حياة الضاوية، لتنتقل إلى العيش في مدينة الجزائر العاصمة بعد أن ورثت من الباشا آغا حمدان ثروة كبيرة، تدخل الرواية بدخول الضاوية إلى مدينة الجزائر فضاءات جديدة ومناخات اجتماعية وثقافية وسياسية تعكس الفترة العثمانية في الجزائر، وبزواج البطللة بكاتب الداوي مصطفى باشا حاكم الجزائر صارت الضاوية قريبة من البيت الحكم، لتسرد حكايات توتر العلاقات بين الباب العالي في إسطنبول وإقليم الجزائر، ونفوذ الجالية اليهودية في الجزائر وكيف استطاعت أن تغير مجرى الأحداث في تلك الفترة، انتهت أحداث الرواية ولا تزال الضاوية تنتظر عودة الباشا كاتب ليسافرا معا إلى إسطنبول.

أما رواية الرايس فصدرت بعد رواية نورس باشا بأربع سنوات (2015) عن منشورات الاختلاف (الجزائر)، تعود هاجر قويدري في روايتها إلى فترة الحكم العثماني تحديداً الفترة الممتدة من 1791 إلى 1815م، تبدأ الرواية بحادثة تاريخية تمثلت في إبعاد 50 شقياً من قرية درمنجيلر الكائنة بجزيرة قبرص إلى إيالة الجزائر من أجل الجهاد في سبيل الله وإعلاء راية الدولة العثمانية، تدور أحداث الرواية في مدينة الجزائر العاصمة والسواحل لإقليم الجزائر (مرسى وهران وإيريزو بني هارون..)،

حيث تروي شخوص الرواية سيرة "الريس حميدو"، البطل الذي لا يروي شيئا عن نفسه بل تكفلت الشخصيات التي تحيط به برواية بطولاته في عرض البحر، تصور الرواية الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر أثناء حكم العثمانيين وتسلط الضوء على مغامرات رياس البحر، وتطرق الرواية إلى الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك بين الدايات والأتراك وصراهم على السلطة، بالإضافة إلى حكاية "مريم" خطيبة "الريس حميدو" التي تنتظر عودته طوال أربعة وعشرين عاما، وحكاية أفراد عائلتها، وقصة "تالار" التي تعمل في التطريز وتغطي بهذه المهنة مهمتها التجسسية التي كفلت بها في بيوت الشخصيات السياسية، وتروي رواية الريس قصة ثروة السيد على وكيل الحرج، إذ يقوم بدفن ثروته تحت جثة الفتاة التي أحياها بعد مقتلها على يد الباشا، وفي آخر أيامه يكتب وصية لأخيه يخبره فيها عن الكنز، لتنتهي أحداث الرواية إلى مقتل الريس حميدو في عرض البحر.

تكييف التاريخ روائيا في روايتي نورس باشا والريس:

تقع روايات "هاجر قويدري" موقعا مغايرا إذا ما قورنت بالنصوص التي استحضرت التاريخ، إذ جاءت نصوص الروائية لتتبع التاريخ الاجتماعي والثقافي فترة الجزائر العثمانية، وتخطُ روايتي الريس ونورس باشا سردا تاريخيا يستثمر الجوانب الحضارية والثقافية، فتجاوزت هاجر قويدري بذلك التماثل في الكتابة السردية الجزائرية، واستطاعت الروائية أن تتخلص من التناول التقليدي للتاريخ.

اجتهدت قراءتنا في روايتي هاجر قويدري لتحديد طريقة تناولها للمادة التاريخية وكيفية صناعتها للتاريخ عن طريق المتخيل الروائي، متسائلين عن كيفية التي تكتب بها هاجر قويدري التاريخ في روايتها.

1- التناصات التاريخية في العتبات النصية:

سنوقف عند العتبات النصية في روايتي نورس باشا والريس، إذ يتم اختيار العتبات الأولى بطريقة فنية تخدم الموضوع وتوحي إلى مضامين الرواية وتوجهاتها «ولعل ولوج النص قد يكون مشروطا بالمرور عليها، لكي يستدل بها في رحلة القارئ عبر المتن الحكائي، عن طريق المعايضة العميقة لهذه العتبات، والتي تتمظهر في العناوين، المقدمات، الذيل، اللواحق، كلمات الناشر ودور النشر والكلمات الموجودة على الغلاف، إلى جانب الهوامش والشروح والتعليقات»⁴.

ونرصد في نصي "هاجر قويدري" عتبات الكتابة التاريخية، إذ يحيلنا كل من عنوان نورس باشا والريس مباشرة إلى الجزائر العثمانية، ولأن العنوان العتبة الأولى التي سيتلقاها القارئ مباشرة، وتسهم نوعا ما في اختراق أفق قراءته، اختارت "هاجر قويدري" العناوين التاريخية أو فنلنل الشخصيات التاريخية، نبدأ بعنوان نورس باشا، مركب من كلمتين نورس توشي إلى الطائر الذي كان يعيش في سواحل البحر الأبيض المتوسط، نجد الضاوية في الرواية تتحدث عن نوارس العاصمة والتي تصدر صوتا يوحي بالحياة والأمل، تقول الضاوية: «رأيت النوارس... ترى أين تختبئ النوارس عند نزول المطر؟، هي لا تصنع الأعشاش... تعيش بين الصخور... ظلت تحلق وتحلق... طبعاً لا تزال تراقص الهواء... يدخل رثي هذه المرة مبللا منعشا...»⁵، أما الكلمة الثانية من العنوان باشا فتعني رتبة في الحكم العثماني، أو مرحلة من مراحل الحكم في الجزائر وهي مرحلة الباشاوات، وشخصية نورس باشا مثلت لها في الرواية بالباشا كاتب زوج الضاوية وكاتب مصطفى باشا حاكم الجزائر تقول الضاوية وهي تصف زوجها: «أحبه.. نعم أحبه جداً... أشتهي مع كل نفس، أتخيله نورسا أبيض... جناحاه تراقصان الهواء كي أتنفسه وحدي، حتى عندما يذهب إلى عمله في قصر الحاكم أصدع إلى المنزه وأفتش عنه في أسراب النوارس التي تروح وتجيء فوق سطوح القصبة»⁶، يبدو أن الروائية اختارت هذا العنوان حتى يحيل القارئ من الوهلة الأولى على فترة تاريخية من مراحل الحكم العثماني في الجزائر، وكأنها بذلك تدخل القارئ في الزمن الروائي قبل قراءته للمتن.

أما عنوان الريس والذي جاء في كلمة واحدة معرفة بالألف واللام، وكأن الروائية تحدد ريسا من ريس البحر غير أنها لا تذكر اسمه، «وقد كانت أسعى مرتبة يصل إليها مجاهد البحر، هي مرتبة "ريس" وهي مرتبة بلغ إليها عدد كبير من أبناء المغرب العربي»⁷، والمقصود في المتن الروائي هو "الريس حميدو"، وترفق الروائية العنوان بصورة لشخصية "عليطرار" أو

"بفاريثو" اسمه الحقيقي، صديق "الرئيس حميدو"، الصورة بريشة الفنان "سعد بن خلف"، يصور فيها رجل من رياس البحر بشواربه الطويلة وبشرة قمحية، ولباس الملاحاة والعمامة التي يضعها رياس البحر، في الوهلة الأولى تبدو الصورة للرئيس حميدو"، غير أنّ الروائية توثّق في الغلاف الأخير من الرواية أنّ صورة الغلاف "لبفاريثو".

كما نلّف استهلال هاجر قويدري في رواية الرئيس بحادثة تاريخية، بعد فتح الرواية مباشرة تكتب الروائية: «طلب الأهالي من الحاكم العام إبعاد 50 شقياً في قرية در منجيلر الكائن بجزيرة قبرص إلى إيالة الجزائر من أجل الجهاد في سبيل الدين الإسلامي والدولة العثمانية ومن أجل إصلاح نفوسهم». من مجموعة الأرشيفات التركية»⁸.

بعد العنوان مباشرة تضعنا الروائية في الإطار التاريخي الذي ستبني عبره الحكى، عن طريق الحادثة التاريخية التي وثقتها في بداية المتن الروائي، وتشير إلى مصدر الحادثة على أنّها من الأرشيفات التركية، إذ بها تضع القارئ في جو الرواية قبل الاطلاع على أحداثها، كما نجد في الرواية نفسها (الرئيس) التأريخ للحوادث الروائية، في بداية كل حكاية نلّف هاجر قويدري تؤرخ لها بالشهر والسنة، تبدأ من مارس 1791 إلى خريف 1815م «حديث بفاريثو. علي طاطار مارس 1791، حديث مريم مارس 1791، حديث وكيل الحرج سيد علي مارس 1791... حديث البحر 1815».*

2- استدعاء الشخصيات والأحداث التاريخية:

حاولت "هاجر قويدري" في رواية الرئيس إعادة صياغة حياة أمراء البحر الذين عرفوا في تلك الفترة التاريخية برياس البحر والذين ضمهم الأسطول الجزائري، تتقاطع في الرواية الشخصيات الواقعية مع الشخصيات التخيلية، فمن الشخصيات التي تبين وجودها في كتب التاريخ "الرئيس حميدو"، إذ جعلت الروائية من هذه شخصية التاريخية أسطورة، أخذت مساحة سردية واسعة في الحكى، وكلفت الروائية مجموعة من شخصيات تناوبت على سرد مغامرات البطل في عرض البحر (لي طاطار "بفاريثو")، مريم، وكيل الحرج سيد علي، وكيل الخوج مصدق، تالار، يحيى مديلي، جون جاكسون، وتلجأ "هاجر قويدري" إلى الشخصيات المتخيلة حتى تضيف على الحكى تقنيات سردية تجنبها الوقوع في التوثيق والتوصيف التاريخي، فتكفلت "مريم" وهي شخصية تخيلية بوصف "حميدو" والحديث عن جوانب من حياته الشخصية وعائلته، تقول واصفة خطيبها: «عندما أتى حميدو إلى زيارتنا صيفاً، لقد خطفتني عيونه منذ النظرة الأولى، لأنها كانت بلون البحر ولم أكن أشبع البحر رغم الأمطار القليلة التي تفصل بيتنا عن شاطئه»⁹، «ظل مزيان يرافق حميدو إلى الخياط كل صباح، وإلى ساحة الرياس مساء كل ثلاثاء، وأنا أرافقه كل ليلة إلى وسادتي، لقد وقعت في الحب مبكراً جداً»¹⁰، وتؤكد الوثائق والمصادر التاريخية التي تعود إلى الفترة العثمانية أن السيرة الذاتية "للرئيس حميدو" والمعلومات حول هذه الشخصية شحيحة جداً، الأمر الذي دفع "هاجر قويدري" لنسج قصص تحركها شخصيات تخيلية حول سيرة الرئيس، إذ يقول "ألبير دوفال" الذي كتب عن شخصية "الرئيس حميدو" «وما دام هذا الرئيس هو عرض أحداث مأخوذة من مصادر أولية لها أهميتها في دراسة بحرية إيالة الجزائر القديمة، فإنني لن أطنب في التفاصيل التي تعودت الألسنة في أن تتداولها فيما يخص أفعال وحركات أشهر قادة الأسطول الجزائري، وبالفعل فإن مثل هذه المعلومات لا يسلم بها، ولا يمكن استعمالها إلا بكثير من الحذر والتحفّظ، ولكنه يتحتم علينا في بلد تقل فيه الكتابة بصفة عامة، والمذكرات بصفة خاصة، أن نرجع إلى الأقوال ونستعملها خشية ألا ننجز أي عمل، وفي هذه الحالة أذكر طواعية، بأنّ المعلومات الأصلية التي حصلت عليها قد لا تشكل كلاً متكاملًا ولا متنوعاً بقدر الكفاية»¹¹.

إلى جانب شخصية "حميدو" نجد شخصية تاريخية أخرى وهي شخصية "علي طاطار" أحد قادة رياس البحر في عهد الجزائر العثمانية، غير أنّ هذه الشخصية التاريخية لم تذكر المصادر الوثائق عن سيرتها فحاولت هاجر قويدري أن تنسج متخيلاً عن علي طاطار الذي استهل الحكى في الرواية بقصة إبعاد 50 شقياً من قرية در منجيلر إلى إيالة الجزائر، كان بفاريثو - الاسم الحقيقي لعلّي طاطار - واحداً منهم، يقول: «... لماذا يسيئون معاملتي بهذا الشكل، إنّ سجن در منجيلر أرحم من كل هذا العذاب حتى ولو قضيت فيك كل عمري...»¹²، ولا ندري إن كانت الأرشيفات التركية قد كتبت عن هذا الرئيس، كما تكفل

هذا الرئيس بالحديث عن مغامرات "حميدو" وحياة القرصنة التي عاشها مع صديقه، يقول: «بعد تسعة عشر يوما من الإبحار المتواصل وصلنا إلى الصويرة، كانت هذه المرة الثالثة التي خرجنا فيها من البحر المتوسط عبر المضيق إلى المحيط، كنا نغافل الحراس البرتغاليين الذين يتحركون في مضيق جبل طارق ونزلق بهدوء. لقد أبحرنا نحو الجنوب هذه المرة»¹³. والملفت للانتباه في شخصية "الرئيس حميدو" أنها ظلت صامدة لا تتحدث عن حياتها ولا عن مغامراتها البحرية، وتكفلت الشخصيات المحيطة به بسرد هذه الأحداث، ومرد الأمر في اعتقادنا هو قلة الوثائق التي تتحدث عن شخصية الرئيس، الأمر الذي جعل "هاجر قويدري" تسلم مجريات الحكي إلى الشخصيات حتى تتمكن من تبرئة نفسها والرئيس من الوقوع في أي مغالطات تاريخية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن شخصية "حميدو" وما عرف عنه أنه كان قليل الكلام هذا ما جعل الروائية تترك له مساحات قليلة يظهر فيها صوته، «...كنت أريد أن أقول له لوتتاح الفرصة سوف أفديك بروحي، ولكن حميدو ليس من أولئك الذين يسمعون الكلام المنمق. أو يعبرونه طلبا، إنه من صنف الرجال الذين لا يضيعون الوقت في الكلام»¹⁴، وإذا ظهر صوت "حميدو" في الرواية يظهر بلهجة قوية وصارمة: «لقد صدمني قائلا: في اليوم الذي تراني فيه أملك مفتاحاً لبنت أعود إليه كل مساء توقف عن مناداتي الرئيس حميدو، لأنني سأقص شاربي وأغسل الأواني مع النساء»¹⁵. بالإضافة إلى شخصيات أخرى: مصطفى باشا، عثمان باشا، حسين باشا، خير الدين باشا، اليهودي بوشناق، أحمد الزميرلي... وهكذا تسعى الشخصيات التخيلية أن تتقارب من الشخصيات الواقعية لتنتج حكيًا جديدا يتناص مع التاريخ ويعيد كتابته روائيا.

تعج روائي نورس باشا والرئيس بالأحداث التاريخية، وهذا الحضور الكثيف للمادة التاريخية يعكس بجلاء سلطة التاريخ على الرواية ووجهها العام، وقد لعبت الوثائق التاريخية دورا بالغ الأهمية في تحريك الأحداث، وأهم وثيقة نسجت منها الرواية أحداثها هي "دفتر الغنائم" وهي عبارة عن سجل افتتح سنة 1765 لتسجيل الغنائم واقتسامها بين قراصنة الجزائر... كان هذا السجل موكلا إلى موظف حكومي يدعى: خوجة الغنائم»¹⁶، وجاء على لسان "الضاوية" -بطلة رواية نورس باشا- «أحضرتي الباشكاكتب أوراقا من دفتر الغنائم، صرت أعيد تدوين كل ما كتبه...» غنمت سفينة الرئيس بن زرمان وسنبك الرئيس حميدو وسنبك الرئيس حسن سفينة نابولية... بقيمة 33691 فرنكا و80 سنتيما»¹⁷.

ومن أهم الحوادث التاريخية التي وثقتها نصوص "هاجر قويدري": مقتل الداوي مصطفى باشا، استيلاء الأسطول الجزائري على عدد كبير من السفن الفرنسية، مقتل اليهودي بوشناق، حادثة الطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر، نفي الرئيس حميدو، انتحار خير الدين، وفاة حسين باشا، الغنيمة البرتغالية، تكريم الرئيس حميدو وتسليمه وسام الشرف، مقتل أحمد باشا على يد الإنكشاريين توتر العلاقات الجزائرية مع الباب العالي، مهاجمة الأسطول الأمريكي، غرق "الرئيس حميدو" في البحر، وغيرها من الأحداث التي حركت الأحداث في الروايتين. حيث غلب على رواية الرئيس الأحداث السياسية ومغامرات الرئيس في عرض البحر، في حين جاءت رواية نورس باشا لتستحضر الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائر العثمانية، ووثقت "هاجر قويدري" روايتها برسائل من دفتر الغنائم وأخرى بعثها الباب العالي لإيالة الجزائر، ونجد داخل المتن الروائي رسائل كاملة مرفوقة بالتواريخ. بالإضافة إلى تأريخ الحكي حيث تبدأ رواية نورس باشا من سنة 1800م وتنتهي بمقتل اليهودي بوشناق، أما رواية الرئيس مارس 1791م وتنتهي بوفاة حميدو خريف 1815.

3- الفضاء التاريخي:

يُعد الفضاء عنصرا من عناصر الحكي، وواحدا من المفاهيم الإجرائية كونه مدخل يسمح للقارئ لتنظيم وفهم العالم المتخيل الذي ينزل فيه الروائي وشخصياته وأحداثه، وفي هذا السياق كان الفضاء التاريخي هو الغالب على جو الروايتين، فجاء فضاء مدينة الجزائر بسواحلها ومرساها وقصورها وحماماتها من أهم الفضاءات التي احتضنت أحداث الروايتين، فكثيرا ما توقف الروائية الأحداث لتصف المكان وأجواء مدينة الدزاير، استعملت الروائية كلمة الدزاير باللهجة الشعبية المأخوذة من اللغة التركية cezayir أو بالعثمانية "جزاير"، وهذا ما يعكس الفترة التاريخية التي دارت حولها مجريات المتخيل، تقول

الضواوية واصفة مدينة الدزاير» هذه المدينة تصحو باكرا، سمعت وقع الأقدام والأصوات في الزقاق القريب، ثم صوت الصغار وهم يركضون وكذا أصوات المطارق التي تعني أنّ الحدادين قد بدؤوا العمل، فتحت النافذة بشوق، لاحت بعض النوارس في الأفق... وشرعت إلى شجرة الياسمين كي أسقيها... كل بيوت الدزاير تتوسطها شجرة»¹⁸، كما نجد كثرة الفضاءات الواقعية داخل المتن الروائي.

4- تجليات الهوية الثقافية والانتماء في نصوص هاجر قويدري :

تجلت الهوية الثقافية في نصوص "هاجر قويدري" من خلال استحضارها للموروث الثقافي والحضاري فترة الجزائر العثمانية، ويُعد الخطاب التاريخي أصدق الخطابات التي تعبر عن الخصوصية الثقافية والانتماء، إذ عجت روايتي نورس باشا والرايس بالموروث الديني والعادات والتقاليد، استدعت الروائية في متونها السردية جوانب من الحياة الاجتماعية فترة العهد العثماني: الزواج، الطلاق، تجهيز العروسة، الذهاب إلى الحمامات، زيارة الأولياء الصالحين، تجهيز الجنائز، السحر والشعوذة، التطير، الأغاني والأمثال الشعبية وغيرها من الحياة الدينية والاجتماعية التي ميزت الجزائر العثمانية، وتجلت الحياة الاجتماعية من خلال أحاديث "الضواوية" و"مريم"، تقول الضواوية: «... لا أحد سيقوم بذلك سواي، سأدخل برجلي اليمنى، كما أنني سأطلي عتبات الغرف بالحنة كي لا يلحقني الميمون، تقول أُمّي أن حظي العاثر سببه الميمون الذي قلب جفنة الطعام وجلس فوقها، كيف هو هذا الميمون؟ حتى تردد النسوة في قريتي _لازهر لا ميمون»¹⁹، ونلاحظ أنّ رواية نورس باشا تظهر فيها الهوية الثقافية بجلاء، لأنّ جو الرواية العام يضعنا في الجزائر العثمانية بكل تفاصيلها اليومية من خلال سرد حكاية "الضواوية" وحياتها في مدينة الدزاير، أما رواية الرايس فغلب على الجو العام للرواية الحياة السياسية لإيالة الجزائر فترة العهد العثماني، فنرى "الرايس حميدو" قائد رياس البحر يؤمن بنبوءة ولي صالح، يقول "علي طاطار" «كان حميدو على قنعة كبيرة بنبوءة الولي المالطي الذي نهض من ضريحه وأخبر الناس بأنّ الفرنسيين سوف يحتلون البلاد، وكان يخاف ذلك فعلاً»²⁰، تعيش الشخصيات الروائية داخل المتن الحكائي لتعبر عن جوانب من الحياة الدينية والثقافية، ويُفسر هذا التوظيف للموروث الثقافي هو البحث عن الهوية انطلاقاً من المواد التاريخية باعتبارها حاملة لذاكرة الشعوب، فاختارت "هاجر قويدري" الفترة العثمانية قصد إعادة كتابة الذاكرة روائياً، محاولة بذلك إحياء الماضي المنسي بالحاضر، وإعادة كتابة التاريخ لتعميق الوعي بالهوية الثقافية، وفي نفس السياق تظهر وجهة نظر الروائية حول فترة العهد العثماني والتي ترى بأنها فترة مهمة جداً من تاريخ الجزائر الثقافي.

5- التقاطع التاريخي التخيلي في روايتي نورس باشا والرايس:

نقصد بالتقاطع التاريخي في روايتي "هاجر قويدري" الزمن التاريخي الذي يربط بين الروائيتين، إذ نلفي الروائية في نصيها تختار فترة زمنية من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وهي الفترة التي تمتد من بدايات القرن 18م، إذ ركزت في نص نورس باشا على الحياة الثقافية والاجتماعية للفترة العثمانية، في حين اهتمت بالجانب السياسي ومغامرات رياس البحر في نص الرايس، أما التقاطع الثاني فيظهر في سير الأحداث، إذ يكمل نص الرايس نص نورس باشا، ويظهر ذلك من خلال شخصية الباشكاتب، التي هي الشخصية المجهولة في نص نورس باشا، وترك "هاجر قويدري" نهاية أحداث القصة مفتوحة وتختتمها بالإسعاف الروائي، إذ تفتح خيارات أمام القارئ ليحدد نهاية القصة ومن ثم نهاية "الضواوية" مع "الباشكاتب"، فنجدها في الرايس تعطي اسم يحيى مدليل للباشكاتب وتحكي قصته التي كانت "الضواوية" لا تعلم عنها شيئاً ولم تسأله عن حياته، وتكمل قصة "الضواوية" في نص الرايس بصفتها شخصية ثانوية لا تظهر إلا في حديث "الباشكاتب"، وتكون نهاية "يحيى مديلي" اليهودي الفرار من سكان المدينة إلى إسكندرونة استجابة لنصيحة "الرايس حميدو".

ختاماً:

لقد مثلت الحوادث التاريخية في روايتي نورس باشا والرايس عصباً مركزياً في سير الحكى، فجاء الخطاب التاريخي في الروائيتين خطاباً واحداً وإن اختلفت الشخصيات والأحداث، ولقد اشتركتا في العودة إلى الجزائر العثمانية وربط هذا التاريخ

بالبهوية الثقافية والانتماء الحضاري، الأمر الذي جعل من "هاجر قويدري" تستدعي الفترة العثمانية، مريدة بذلك كتابة الذاكرة وبالتالي استدعاء الهوية الثقافية ووصل الماضي المنسي بالحاضر، ويظهر هذا الاستدعاء جليا في وفاء الكاتبة للتاريخ العثماني بالجزائر وشخصياته وأحداثه، ولو من باب التجريب الروائي.

مراجع المقال :

- ¹ - جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دط، وهران، دت، ص 49.
- ² - آمنة بلعل، المتخيل في الرواية الجزائرية، الأمل للطباعة، ط2، الجزائر، 2011، ص32.
- ³ - جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، ص73.
- * رواية العشاق في الحب والاشتياق للأمير مصطفى، رواية العجل أسير البرابرة لشكري خوجة، رواية شعلة المائدة لمحمد مفلح...
- ⁴ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي من السرد إلى التبئير، مركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط2، 2001، ص 114.
- ⁵ - هاجر قويدري، نورس باشا، منشورات ANEP، دط، الجزائر، 2011، ص 137.
- ⁶ - نورس باشا، ص 132.
- ⁷ - الرئيس حميدو، البيردوفال، تعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، مطبع بن بولعيد، دط، الجزائر، 1972، من التقديم.
- ⁸ - هاجر قويدري، الرئيس، منشورات الاختلاف وظيفاف، ط1، الجزائر، 2015، ص 5.
- * رواية الرئيس: كل حدث تعطي له الروائية عنواناً وتؤرخ له بالشهر والسنة.
- ⁹ رواية الرئيس، ص 19.
- ¹⁰ - رواية الرئيس، ص 23.
- ¹¹ - ألبيردوفال، الرئيس حميدو، ص 9، 10.
- ¹² - رواية الرئيس، ص 39.
- ¹³ - الرئيس، ص 109.
- ¹⁴ - رواية الرئيس، ص 126.
- ¹⁵ - رواية الرئيس، ص 108.
- ¹⁶ - ألبيردوفال، الرئيس حميدو، ص 8.
- ¹⁷ - نورس باشا، ص 153.
- ¹⁸ - نورس باشا، ص 57.
- ¹⁹ - - نورس باشا، ص 46.
- ²⁰ - الرئيس، ص 179.